

التبيان في تفسير القرآن

(315) خلا بعضهم إلى بعض " : أي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف ا ﷻ صفتهم، إلى بعض منهم فصاروا في خلاء الناس، وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم، قالوا يعني بعضهم لبعض -: اتحدثونهم بما فتح ا ﷻ عليكم. وقال ابن عباس بما فتح ا ﷻ عليكم أي بما ألزمكم ا ﷻ به. فيقول له آخرون انما نستعزئ بهم ونضحك. وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا. فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم. فانزل ا ﷻ هذه الآية: أي تقرون بانه نبي وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم بانه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا. اجدوه ولا تقروا به لهم. فقال ا ﷻ تعالى: " اولا يعلمون ان ا ﷻ يعلم ما يسرون وما يعلنون " (1) وقال ابوالعالية: اتحدثونهم بما فتح ا ﷻ عليكم: اي بما انزله في كتابكم من بعث محمد (صلى ا ﷻ عليه وآله) وبه قال قتادة وقال مجاهد: ذلك قول يهود بني قريظة حين سبهم النبي (صلى ا ﷻ عليه وآله) بانهم اخوة القردة والخنازير. قالوا من حدثك بهذا - حين ارسل اليهم عليا (ع) فاذوا محمدا (صلى ا ﷻ عليه وآله) - فقال: يا اخوة القردة والخنازير قال بعضهم لبعض: ما اخبره بهذا إلا منكم اتحدثونهم بما فتح ا ﷻ عليكم، ليكون لهم حجة عليكم؟ وقال السدي: هؤلاء ناس آمنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذبوا به فقال بعضهم لبعض: اتحدثونهم بما فتح ا ﷻ عليكم من العذاب ليحاجوكم به، ليقولوا نحن احب إلى ا ﷻ منكم واکرم عليه منكم؟ ومثله روي عن ابي جعفر " ع " واصل الباب الفتح في لغة العرب: القضاء والنصرة والحكم. يقال اللهم افتح بيني وبين فلان: أي احكم بيني وبينه، ومنه قوله تعالى: " ويقولون متى هذا الفتح " (2) يعني هذا القضاء فقال تعالى: " قل يوم الفتح (3) يعني يوم القضاء. وقال الشاعر: ألا ابلغ بني عصم رسولا * فاني عن فتاحتكم غني (4) _____ (1) سورة البقرة آية 77 (2) سورة آل الم السجدة آية 28. (3) سورة آل الم السجدة آية 29 (4) ينسب للاشعري الجعفي ومحمد بن حمران بن ابي حمران. أمالي القالي: 281. اللسان: " فتح " وبنو عصم هم رهط عمرو بن معديكرب الزبيدي. (*)